

روح المعاني

الثواب للمطيع والمنفعة للعبد تسمى رضا ورحمة واراדתه عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضبا واراדתه سبحانه وتعالى صفة له قديمة يريد بها قالوا : والمراد بالسبق والغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب على فلان الكرم والشجاعة إذا كثرا منه انتهى وهو يرجع الى ما قلنا وحاصل الكلام في ذلك أن السبق والغلبة في التعلقات في نفس الصفة الذاتية إذ لايتصور تقدم صفة على صفة فيه تعالى لاستلزامه حدوث المسبوق وكذا لايتصور الكثرة والقلة بين صفتين لاستلزام ذلك الحدوث وقد يراد بالرحمة ما يرحم به وهي بهذا المعنى تتصف بالتعدد والهبوط ونحو ذلك أيضا وعليه يخرج ما أخرجه مسلم وابن مردويه عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السموات والأرض فجعل منها في الأرض رحمة بها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة .

وأخرج عبد بن حميد وغيره عن عبد الله بن عمرو قال : إن الله تعالى مائة رحمة أهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا يتراحم بها الجن والانس وطائر السماء وحيثان الماء ودواب الأرض وهوامها وما بين الهواء واختزن عنده تسعا وتسعين رحمة حتى إذا كان يوم القيامة أختلج الرحمة التي كان أهبطها إلى أهل الدنيا فحوها إلى ما عنده فجعلها في قلوب أهل الجنة وعلى أهل الجنة والمراد بالرحمة في الآية ما يعم الدارين مع عموم متعلقها فما روي عن الكلبي من أن المعنى أوجب لنفسه الرحمة لأمة محمد A بأن لا يعذبهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الأمم الخالية والقرون الماضية عند ذلك بل يؤخرهم إلى يوم القيامة لم يدع اليه إلا إظهار ما يناسب المقام من أفراد ذلك العام وفي التعبير عن الذات بالنفس رد على من رعم ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وإن أريد به الذات إلا مشاكلة واعتبار المشاكلة التقديرية غير ظاهر كما هو ظاهر وقوله سبحانه : ليجمعنكم إلى يوم القيامة جواب القسم محذوف وقع على ما قال أبو البقاء كتب موقعه والجملة استئناف نحوي مسوق للوعيد على اشراكهم وأغفالهم النظر وقيل : بياني كأنه قيل : وما تلك الرحمة فقيل : إنه تعالى ليجمعنكم الخ وذلك لأنه لولا خوف القيامة والعذاب لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخطب وأورد عليه أنه إنما يظهر ما ذكر لو كانوا معترفين بالبعث وليس فليس . وقال بعض المحققين أيضا : إنه تكلف ولا يتوجه فيه الجواب الا باعتبار ما يلزم التخويف من الامتناع عن المناهي المستلزم للرحمة وقيل : صلاحية ما في الآية للجواب باعتبار أن

المراد ليجمعنكم إلى يوم القيامة ولا يعاجلكم بالعقوبة الآن على تكذيبكم على ما أشار إليه الكلبي وقيل : إن القسم وجوابه في محل نصب على أنه بدل من الرحمة بدل البعض وقد ذكر النحاة أن الجملة تبدل من المفرد نعم لم يتعرضوا الانواع البديل في ذلك والجار والمجرور قيل متعلق بمحذوف أي ليجمعنكم في القبور مبعوثين إلى يوم الخ على أن البعث بمعنى الارسال وهو مما يتعدى بالى ولا يحتاج إلى ارتكاب التضمين واعتراض بأن البعث يكون إلى المكان لا إلى الزمان إلا أن يراد بيوم القيامة واقعتها في موقعها وقيل : هو متعلق بالفعل المذكور والمراد جمع فيه معنى السوق والاضطرار كأنه قيل لبيعثنكم ويسوقنكم ويضطرنكم إلى يوم القيامة أي إلى حسابه وقيل : إنه متعلق بالفعل